

١ — مهمة غير عادية ..

توافد المهندسون والفنيّون المصريّون تباغاً ، على منطقة مترامية الأطراف ، بإحدى الدول الإفريقية ، للمشاركة في بناء سدّ (كاتون) ، وهو المشروع الذى تعاقدت حكومة الدولة الإفريقية ، مع الحكومة المصريّة ، على الإسهام في بنائه ، نظراً للخبرة الفنيّة العظيمة ، التى اكتسبها المصريّون ، من بناء أضخم وأعظم السدود في القارة الإفريقيّة ، ألا وهو السدّ العالى ..

ولقد بدأ بناء سدّ (كاتون) بالفعل منذ ثلاثة أشهر ، مع وصول ثلثمائة مهندس وفنى مصرى ، وهو يغدّ واحداً من أضخم المشروعات في القارة الإفريقية ، يهدف إلى توفير تلك الكمّيات الضخمة من مياه الأمطار الاستوائيّة ، واستغلالها في توليد الطاقة الكهربيّة ، والنهوض بالزراعة نهضة كبرى ، ولقد كان اعتماد تلك الدولة الإفريقية على الخبرات المصريّة ، دون الأوروبيّة أو الأمريكيّة ، دليلاً على الثقة والتقدير ، اللذين

تُكْنِيهِمَا القَارَةُ الإفريقية كلها للخبرات المصرية ؛ لذا كانت
(مصر) حريصة على إثبات قدرات أبنائها وكفائتهم ، بقبولها
ذلك التحدي ، وإقامة ذلك الصرح ، الذي يعد بداية معركة
التقدم ، التي تتأهب لها القارة السوداء ..

و ذات ليلة ، وبينما كان أحد الفنيين المصريين يجول في منطقة
المنازل الخشبية ، التي أُعِدَّت لِسُكْنَى الخُبراء المصريين ،
بالقرب من منطقة العمل في سد (كاتون) ، لاح له وميض
خاطف من بين الأشجار الاستوائية الكثيفة ، التي تحيط
بالمكان ، ثم لم يلبث أن اختفى ، وعاد يظهر ويختفي عشرات المرات ،
في إيقاع منتظم عجيب ، مما أثار فضول المصري ، فاقترب من
منطقة الوميض في حذر ، واجتاز منطقة الأشجار الكثيفة ، ثم لم
يلبث أن تسمّر في مكانه ، واتسعت عيناه في ذهول ، وغ

الكورى يحرك السلسلة بين يديه فى سرعة وبراعة ، محاولاً
تشيت انتباهه ..

وفجأة انقضَّ المدرب ، وأحدثت العصا الخشبية صريراً
مخيفاً فى الهواء ، وهى تهوى نحو رأس (ممدوح) ، الذى كان
يعلم أن أية خطوة خاطئة قد تحطم رأسه ، إلا أنه كان يتميز بشبائه
المعهود ، ويحفظه الكاملة ، فتفادى الأطراف الخشبية القصيرة
فى مهارة ، وهو يميل يمينا ويساراً فى مرونة ، ثم لم يلبث أن طوّح
قدمه بضربة جانبية ، لتركل يد مدربه ، وكانت ركلته من القوة
حتى أنها أعادت العصا الخشبية ؛ لترتطم بكتف المدرب ،
الذى عاجله (ممدوح) بركلة أخرى فى صدره ، أخلت
بتوازنه ، وكادت تُوقعه أرضاً ، ولكن الرجل تمالك نفسه فى
سرعة ، على الرغم من غُنف الضربة

التفت (مدوح) إلى مصدر الصوت ، فرأى أحد زملائه في الإدارة يتجه نحوه بخطوات مُسرَّعة ، فسأله في اهتمام :
— ماذا هناك ؟

أجابه زميله ، قائلاً :

— سيادة اللواء (مراد) يطلبك في مكتبه على الفور
يا سيادة المقدم .

ثم أردف في اهتمام :

— يبدو أنها مهمة جديدة .. مهمة غير عادية ..

دلف (مدوح) إلى حجرة رئيسه في هدوء ، وراه يتحدث إلى شخص ما هاتفياً ، ويشير إليه بالجلوس ، فتقدم نحو المقعد المقابل للمكتب ، وجلس في صمت ، وحاول أن يتطلع إلى سقف الحجرة متشاغلاً ، حتى ينتهى رئيسه من محادثته ، إلا أن الفضول لم يلبث أن أستبدَّ به ، حينما سمع رئيسه يقول :

— نعم يا سيادة رئيس الوزراء .. سنبدأ تحركنا غداً ..

نعم .. الضابط المرشح للمهمة يجلس أمامى الآن ، وهو من أكفأ رجالنا .. نعم يا سيدي .. أنا واثق من أنه سينهى المهمة على أكمل وجه .

تساءل (مدوح) عن المهمة ، التى تجعله — شخصياً — هدفًا لحديث خاص بين رئيسه ورئيس الوزراء ، وقال لنفسه :
— إذن فهى مهمة على درجة عالية من الخطورة والأهمية .. مَرَحَى .. مَرَحَى .. سنترك الأعمال المكتبية والروتينية ، ونبدأ العمل الجاد .

تحفز كل جزء من عقله وجسده ، كشأنه كلما أقدم على عملية جديدة ، من تلك العمليات الخاصة ، ورأى اللواء (مراد) يضع سماعة الهاتف ، ثم يلتفت إليه ، قائلاً :

— لا رَيْبَ أنكَ قد استمعتَ إلى حديثى مع رئيس الوزراء ، بشأن مهمَّتكَ الجديدة .

مدوح :

— لست أخفى أنها أثارت فضولى يا سيدي ، وجعلتني أتساءل عن نوعها ، ومدى أهميتها !

أشعل

عائد مادي للخزانة ، ولكنه توطيد أواصر الثقة والصداقة ،
وإثبات كفاءة وخبرة المصريين ، ومضارعتهم لأغنى الخبراء
الأجانب ، وهذا يعني أن ذلك المشروع هو — في حد ذاته —
هدف استراتيجي بعيد المدى ، ويُعدّ ركيزة التعاون بين
(مصر) ، والدول الإفريقية ، وينبغي أن يظل هذا واضحاً ،
قبل أن أبدأ في شرح تفاصيل المهمة لك .

ثم اعتدل ، وهو يقول في اهتمام :

— والآن استمع إليّ .. استمع إليّ جيّداً ..



وَجَدْتُ طريقها إلى قلوب وعقول الكثيرين ، مما أدَّى إلى فرارهم
من منطقة العمل ، وتوقَّف معظم العمليات الخاصة ببناء
السَّد .

سأله (ممدوح) في اهتمام :

— وهل نعرف هذه الشائعات يا سيدي ؟

اللواء (مراد) :

— لقد وصلني تقرير من سفارتنا في (الجابون) عن ذلك ،
وهو يحوى ملاحظة غريبة ؛ إذ يقول إن أحد السَّحرة المعروفين في
(الجابون) ، ويُدعى (تشومبي) ، قد تنبأ منذ عدة أشهر ،
بأن وصول المصريين إلى (مأكوكو) ، سيحمل معه نذير الموت
والرعب والخراب للمنطقة ، وحاول أن يُقنع المسؤولين في
حكومة (الجابون) بخرافاته ، ولكنهم ، وعلى الرغم من نفوذ
(تشومبي) القوى هناك ، رفضوا تحذيراته ، وأصرُّوا على
الاستعانة بالخبرات المصرية ، لبناء سدِّ (كاتون) ..

وهاهى ذى تلك الحوادث الأخيرة تزعزع الثقة ، وتُوجى
بأن نبوءة ذلك الرجل الغامض لم تكن مجرد خرافة ، أو خداع
دجالين .

قال (ممدوح) مُستنكراً :

— هل تؤمن سيادتكَ بأن ما يجرى هو نوع من السَّحَر
المنتشر في (إفريقيا) ؟
اللواء (مراد) :

— هناك صلة ما بين نبوءة الرجل ، وتلك الحوادث
الغامضة يا (ممدوح) ، ثم إن مشروع بناء السَّد كله قد بات
مهتدًا بالفشل ، بعد استقرار تلك النبوءة في العقول ،
وما صحَّحها من ظواهر مُثيرة ، وحوادث قتل غامضة ، والخوف
هو المسيطر الآن على قلوب وعقول الجميع .
ممدوح :

— المطلوب إذن هو كشف الحقائق ، قبل أن يتوقَّف العمل
تمامًا في السَّد .

اللواء (مراد) :

— نعم .. فالأمر يخفى في طَيَّاته ما هو أكثر من نبوءة
ساحر ، وضحايا خرافات مُسيطرة على العقول .. إننا نعتقد
أننا إزاء مؤامرة تُدبَّر

قال اللواء (مراد) في جدية :

— كُنْ عَلَى حَذَرٍ يَا (ممدوح) ، وَلَا تُسْتَهِنْ بِالْأَمْرِ ،
فَأَنْتَ مُقْبِلٌ عَلَى مُوَاجَهَةِ قُوَى خَفِيَّةٍ نَجْهَلُهَا .. قُوَى تَجْمَعُ مَا بَيْنَ
أَسْلِحَةِ الدَّمَارِ ، وَوَسَائِلِ السَّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ ؛ لِتَنْشُرَ الْمَوْتَ
وَالرُّعْبَ وَالْخَرَابَ فِي الْمَكَانِ ، الَّذِي سَتَذْهَبُ إِلَيْهِ .. كُنْ عَلَى
حَذَرٍ ..

كُنْ عَلَى حَذَرٍ .. كُنْ عَلَى حَذَرٍ .. كُنْ عَلَى حَذَرٍ ...
تَرَدَّدَتِ الْعِبَارَةُ الْأَخِيرَةُ فِي ذِهْنِ (ممدوح) ، كَمَا لَوْ كَانَتْ
صَدَى يَتَرَا

دَقَّ جرس الهاتف في حجرة (ممدوح) ، في تمام الساعة
السابعة صباحًا ، فتناول السماعة ، يستمع إلى مندوب
السفارة المصرية ، وهو يُبَادِرُهُ قائلًا :

— لَسْتُ أدرى أمحظوظ أنت أم سَيِّ الحظ أيها المقدم ..؟
لقد وافق (تشومبي) على مقابلتك الليلة .

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :

— ما دام (تشومبي) هذا رجلًا تصعب مقابلته ، فأنا
محظوظ ولا ريب .

أجابه مندوب السفارة في قلق :

— ربّما .. ولكن الآخرين يخشون مثل هذا اللقاء ،
فالأساطير والقصص ، التي

ثم لم يلبث أن اختفى فجأة وسط الظلام الدامس ، المحيط
بالقيلاً ، فواصل (ممدوح) ورفيقه تقدّمهما نحو المبنى ، على
الرغم من ازدياد إحساسهما بصعوبة التنفس والإرهاق البالغ ..
وفجأة بدت لهما وسط الظلام فتاة سمراء ، ترتدى ثوباً
قصيراً ، من نفس اللون الأحمر الفاقع ، الذى كان يرتديه
الزنجى ، وكانت تحمل فى يدها مصباحاً ضوئياً ، ألقت أشعته
على وجهيهما ، وهى تقول فى صوت ناعم رقيق :

— مساء الخير أيها السيّدان .. مستر (تشومبى)
ينتظركما .. اتبعانى .

قادتاهما إلى داخل القيّلاً ، إلى حجرة واسعة ، فاخرة
الأثاث ، تغطّت جدرانها بمكتبة ضخمة ، تحوى المئات من
الكتب فى مختلف التخصصات ، وشعر (ممدوح) أن الإرهاق
وصعوبة التنفس ، اللذين كان يشعر بهما ، قد

وفجأة .. صكّت مسامعهما ضحكة قصيرة حادة ، من
مدخل الحجرة ، فالتفتا إليه ، ليجداه مفتوحاً على مصراعيه ،
وقد وقف على عتبة عملاق أسود ، بالغ الضخامة ، أصلع
الرأس تماماً ، له عينان جاحظتان ، يشعان ببريق مخيف ، وقد
اختلط بياضهما بشيء من الحمرة ، وقد بدا كغوريلاً ضخمة في
ثوب آدمي ، وهو يرتدى سترة رمادية طويلة تغطي ركبتيه ، ولها
ياقة صلبة ، وأسفلها سروال من اللون نفسه ، ولقد بدا صوته
شديد العمق والصرامة ، وهو يقول :

— أنا الرجل الذي جئنا لمقابلته .. أنا (تشومبي) ..
الساحر .

ران الصمت طويلاً

— هل تستهويك كتب السحر الأسود ؟

مدوح :

— أنا لا أؤمن بوجود سحر أسود أو أبيض ، هناك فقط خزعبلات يستخدمها بعض الأشرار ؛ للتأثير على عقول الآخرين ، وإيهامهم بأشياء تخالف المنطق .

أطلق (تشومبي) ضحكة عالية مُجَلِّجلة ، وهو يقول :
— صدقت أيها الشاب ، فكل ما جاء بهذا الكتاب مجرد خزعبلات ، لا صلة لها بالحقائق .

وتطلع بعينه الخفيفتين ، الشبيهتين بعيني البومة ، في عيني (مدوح) ، وهو يقول في همس كالفحيح :
— ولكن السحر الأسود

٤ - الفخُّ القاتل ..

سأل مندوب السَّفارة المصريَّة (ممدوح) ، وهما في طريق العُودة :

— ما رأيك فيما قاله هذا الرجل ؟

ممدوح :

— إن روايته عن (اللعنة السُّوداء) لم تقنعني مطلقاً ، ثم إن التاريخ لا يشير أبداً إلى قدوم المصريين القدماء إلى هذه البلاد ، ولكن الرجل — مع ذلك — يتمتع بقدرات غير عادية ، فهو — كما قال — ليس مجرد ساحر أو مُشغُوذ .. إنه رجل واسع الثقافة ، عظيم النفوذ ، مما يجعل الأمر أكثر خطورة ، لو ثبت أن له علاقة مباشرة بما يحدث في (مأكوكو) .

مندوب السَّفارة :

جلس (ممدوح) إلى جوار المهندس (عادل) ، في
الوَحْدَة الطيبة ، في الصباح التالي ، حيث وجده ممددًا فوق
سريره ، والضمادات تحيط بكتفه وساقه ، وقال له وهو
يبتسم :

— حمدًا لله على نجاتك .

قال المهندس المصري في امتنان :

— شكرًا على تدخلك لمساعدتي في الوقت المناسب .
ممدوح :

— هل يمكنك أن تُروى لي ما حدث أمس بالتفصيل ؟
المهندس (عادل) :

— لقد هاجمني أحد الزنوج أمس في أثناء نومي ، ولقد
حاولت مقاومته ، ولكنه أصابني بخنجره في

يستخدم كل قواه في السحر الأسود ؛ لإبعادكم عن (ما كوكو)
بشئ الطرق والوسائل .

تأمله (ممدوح) في اهتمام : قائلاً :

— ما الذى يجعلك تعتقد ذلك ؟

أجابه (هوجو) بلهجة واثقة :

— إن تلك القردة التى هاجتكما — أنت والمهندس
(عادل) — أمس ، لا تأتمر بأوامر الآخرين ، ولا تخضع
لسلطانهم ، إلا تحت تأثير السحر .

تظاهر (ممدوح) بالأمبالاة ، وهو يقول :

— لقد رأيت القُرود تفعل فى السيرك ما هو أكثر من
ذلك ، بفضل التدريب الجيد و ..

اقترب الرجل منه ، وتلّفت حوله ، وكأنما يخشى أن يسمعه أحد ، وهو يهمس في أذنه :

— إننى أقترح الاستعانة بساحر آخر ، يمكنه التصدى لِسِحْر (تشومبى) .

تطلّع إليه (ممدوح) فى دهشة ، ولقد تعجّب من اقتراحه ، على الرغم من أنه يتفق مع أسلوب تفكير البسطاء فى تلك البلاد ، فى حين استطرد (هوجو) :

— هناك ساحر فى (الكونغو) له نفس قوّة ونفوذ (تشومبى) ، ولو أنكم استدعيتموه ، ودفعتم له أجرًا مناسبًا ، قد يمكنه أن يحو سِحْر (تشومبى) و ..

قاطعه (ممدوح) ، وهو يت

وترنح الرجل ، ولكنه لم يسقط أرضاً ، وإنما أطلق
زئيراً قوياً ، حجه قرع الطبول عن المتسامرين في الخارج ،
وانقضّ على (ممدوح) ، وهو لا يبغى هذه المرة سوى
هَدَفٍ واحد ..

قتله ..



٦ — الثعبان الخرافي ..

هوت الخالب القاسية مرة أخرى ، لتصيب كتف
(ممدوح) ، وتمزق قميصه ، ولكنه تحامل على نفسه ليراوغ
خصمه ، وهو يستعد لتسديد ضربة قاتلة إلى عنقه ، وه

وكانت عينا (تشومبي) الجاحظتان تبدوان أكثر وحشية من عيني الفهد ، ولقد بدا مظهره مختلفاً تماماً هذه المرة ، فلقد تخلّى عن سترته الرمادية الطويلة ، التي تمنحه مظهر الحكماء والفلاسفة ، واستبدل بها سروالاً قصيراً ، ومجموعة من العقود الملونة ، التي تحيط بعنقه ، وتتدلّى على صدره العاري ، في مظهر لا يتفق أبداً مع خريج جامعة (السوربون) ..

وابتسم (تشومبي) ، وهو يقول :

— هانحن أولاء قد التقينا مرة أخرى يا مستر (ممدوح) .
هم (ممدوح) بالتحدّث ساخرًا ، إلّا أن عيني الفهد الشرستين جعلتاه يطبق شفّتيه في حلق ، فابتسم (تشومبي) لموقفه ، وصاح يأمر الفهد بالسكون والهدوء ،

٨ - صراع ضد الشيطان ..

كان (ممدوح) مجردًا من أى سلاح ، فى مواجهة خصم
يحيد استخدام أسلحته فى براعة مذهلة ، ويعرف متى وكيف
وأين يسدّد طعناته القاتلة ، ولم يكن أمام (ممدوح) سوى
استخدام أسلحته الطبيعية .. قبضتيه وقدميه ، ومهارته فى فنون
القتال اليدوى ..

وكان عليه أولاً أن يقلّل من سرعة خصمه وتحكّمه فى
أسلحته ، فتجاهل الحراب ذات الأطراف الحادّة المدبّية ،
واندفع كالصّاعقة ؛ ليهوى على ساق (تشومبى) بضربة قويّة ،
أصابت هذا الأخير بالآلام مبرّحة ، وحقّقت الهدف منها ؛ فقد
طغى إحساس (تشومبى) بالألم على سرعته ومهارته ، إذ توقّف
عن التلاعب بالحربتين لحظة ، وهو يضغط أسنانه فى ألم ،<

وجه (ممدوح) ، الذى فوجئ باقتحامهم المكان ، ولم يجد
أمامه وسيلة للفرار .. وأدرك أنها النهاية ..
نهاية عملية (اللعنة السوداء) ..

فجأة تبدلت كل الأمور دفعة واحدة ؛ فقد هوى اثنان من
الزواج الثلاثة صرعى ، وقد استقرت في ظهر كل منهما حربة
قوية ، وظهر خلفهما (هوجو) ، والفتاة الزنجية التى قدّمت
الطعام لـ (ممدوح) في سجنه ، وتحول الزنجى الثالث إليهما في
ذهول ، ثم لم يلبث ذهوله أن تحول إلى غضب جامح ، وهو
يصوب إليهما فوهة مدفعه الرشاش ..

وقبل أن يطلق الزنجى رصاصة واحدة التقط (ممدوح)
الحربة ، التى أسقطها من قبل ، وطعنه بها في عنقه بقوة ،

ويجد نفسه عاجزاً عن التصرف ، فانتزع (هوجو) سكيناً كبيراً ، كان يخفيه برباط حول ساقه ، وقدمه إلى (ممدوح) ، قائلاً :

— هل يمكنك أن تستفيد بذلك ؟

تطلع (ممدوح) إلى السكين ، وهمس في تفكير :

— المنطق يقول إنه لن يفيد إزاء رجلين مسلحين بالمدافع الآلية ، ولكن لو استخدمناه بذكاء فقد ..

بتر عبارته ، وهو يستغرق في التفكير مرة أخرى ، ثم تناول السكين من (هوجو) ، ودسه في حزامه ، وأسدل عليه قميصه ، ثم أمسك مدفعه الرشاش بكلتا قبضتيه ، ورفعته عاليًا من خلف الجدار الصخري ، معلناً استسلامه للرجلين ..

العالية للقفز من شجرة إلى أخرى ، حتى اختفى عن الأنظار تماماً ، ومن موقعه الجديد راقب رجال القبيلة وهم يواصلون بحثهم عنه ، حتى استبد بهم اليأس ، فواصلوا سيرهم مكتفين بالأسيرين الآخرين .. وما أن ابتعدوا عن المكان حتى عاد إليه (ممدوح) ، والتقط أسلحة الرجل الذى صرعه الفهد قبل موته ، وعاد يتنقل بين الأشجار متوارياً بأغصانها ، متابعاً مسيرة القبيلة ، التى استقر بها المقام أخيراً فى منطقة عشبية منبسطة ، تتناثر فيها أكواخ القبيلة ، ويتوسطها وثن صخرى ذو ملامح مخيفة ..

واستقبل عجائز القرية ونسائها وأطفالها العائدين فى ترحاب ، وهم يحومون حول الأسيرين فى سعادة بالغة ، كما لو كانوا قد ظفروا بوليمة عظيمة ، ثم اقتيد الأسيران إلى أحد الأكواخ ، وساد الهدوء فترة ، وخلت الساحة إلا من حراس المكان ..

وشعر

— لا تقل هذا .. إنَّك ستُشفَى و

قاطعه (هوجو) قائلاً :

— لا وقت للكلام .. أنت تعلم مثلى أنه لم يعد هناك أمل .. أوصيك برعاية ابنتى من بعدى ، فلم يعد لها أحد بعد موتى ، وعدنى بالانتقام من (تشومبى) .. عدنى بذلك .
ظهرت علامات التأثر على وجه (ممدوح) ، وهو يقول :
— أعدك يا (هوجو) .

أغلق (هوجو) عينيه فى ارتياح ، وهو يقول :

— شكراً لك .

ثم ارتخت يداه ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ، فألقت ابنته رأسها على صدره ، وهى تبكى وتنتحب ، فى حين انهمك (ممدوح) فى حفر قبر له ،

ابتسم الشخص ذو المنظار ، وقال وهو يثبت إطاره فوق أنفه :

— يا لها من ضربة حظ موفقة !! لقد عثرت على الرجل المنشود ، فهذا هو المقدم (ممدوح عبد الوهاب) ، رجل إدارة العمليات الخاصة المصرية .

ابتسم (ممدوح) في ثبات ، وهو يقول :

— يسعدني أن أكون شهيراً إلى هذا الحد ، على الرغم من أننا لم نتعارف من قبل .

انقلبت سحنة الرجل ، وهو يقول :

— ولكنني أعرفك جيداً أيها المقدم ، فلدي ملف كامل عنك في مخبراتنا الاسترانية .

وعلى الرغم من المفاجأة ، تظاهر (ممدوح) باللام

— لقد تعلّمت ذلك بالفعل .. تعلّمت أن القضاء على الشرّ يحتاج إلى رجال لهم شجاعتك وإخلاصك يا مستر (ممدوح) .

ابتسم (ممدوح) ، وربّت على كتفها ، ثم اتجه إلى سيّارة السفّارة التى تنتظره ، لتقلّه إلى المطار ، ولوّح له السّفير والفتاة بأيديهما ، قبل أن يبدأ رحلته إلى (القاهرة) ، بعيدًا عن تلك الأرض ، التى شهدت تحطّم أسطورة (اللعنة السّوداء) .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة — تليفون : ٨٢٦٢٨٠

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

